

[حروف العطف]

قد تكون " أو " في الخبر لغير الشك، وهو: أن تكون للإبهام على المخاطب، نحو: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصفافات: ١٤٧]، و ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾ [يونس: ٢٤].

وأن تكون للتخيير: نحو: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤] أى: أنها قد بلغت النهاية في القسوة، فشبهاها بقسوة الحجارة إن شئت وإن شئت بما هو أقسى من الحجارة.

وأن تكون للتفضيل كالمذكورة في الحدود والرسوم.

وأن تكون للتقريب، كقولك: ما أدرى أذن أو أقام، أى: لسرعته، وإن كان يعلم أنه أذن. ومنه قوله تعالى: ﴿كَلَّمَحِ الْبَصْرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧].

وأما في الأمر فتكون للتخيير أو الإباحة، والفرق بينهما أنه في التخيير لا يجوز الاتيان بكل واحد منهما ويجوز في الإباحة، مثال التخيير: كل سمكاً أو لبناً، يجوز له أكل أيهما شاء، ولا يجوز له أكلهما معاً، هذا إذا كان التخيير أمراً.

أما إذا كان نهياً، فحينئذ إما أن يكون نهياً عن شيئين على البدل، أو أحدهما في معنى الآخر، أو عن شيئين لا يكون أحدهما في معنى الآخر.

أما الأول فكقولك: لا تأت زنى أو قتل نفس بغير حق، وكقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِغْ مِنْهُمْ آيْمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤] فهذا هنا يجب الكف عن كل واحد منهما منفردين ومجتمعين؛ لأنه نقيض لقولنا: أطع أحد هذين، وجبت إطاعة أحدهما، فلما قال: لا تطع أحدهما، حرم طاعة كل واحد منهما؛ لأن النهي ضد الأمر.

وأما الثاني: فكقولنا: لا تأخذ درهماً أو ديناراً، فها هنا يجب عليه الامتناع عن تناول أحدهما، وعن تناولهما معاً حتى إنه إذا جمع بينهما في الأخذ كان عاصياً.

في بعض النسخ وقع: (وأما " أم " هذه فهي التي تسمى المتصلة، وهي لازمة لهزمة الاستفهام يليها أحد المستويين والآخر الهزمة).

ومعناه: إذا كان ما يلي " أم " المتصلة اسماً مفرداً ولي الهمزة كذلك، وإن كان يليها جملة اسمية أو فعلية ولي الهمزة كذلك.

وأورد النقض بقوله تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ [النازعات: ٢٧]، ويقول عز وجل: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٣].

وأجيب عن الأول بأن ﴿السَّمَاءُ﴾ مبتدأ، والخبر محذوف، و﴿بَنَاهَا﴾: حال، فقد ولي كل واحد منهما جملة اسمية.

وعن الثاني بأن ﴿أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ في تقدير: أم صمتتم، فوضعت الجملة الاسمية موضع الفعلية، وهو كثير.

وقوله: (لم يجز: أرايت زيذا أم عمرا؟).

نص سيبويه على جواز ذلك، وقال: لو قلت: ألقيت زيذا أم عمرا؟ كان حسنا، ومنه قوله:

ليت شعري نعمى أتهوين من يهواك أمن رضيته بالشباب

وقد يستغنى عن "إما" الثانية بـ "إلا"، كقول الشاعر^(١): [الوافر]

فإمّا أن تكون أخي بصدق فأعرف منك عشي من سميني
وإلا فاطر حني واتخذني عدواً أتقيك وتقتيني

(١) يليهما:

فلو أننا على حجر ذبحنا جرى الدميان بالخبز اليقين

للمثقب العبدى.

والشاهد فيهما: (وإلا فاطر حني) حيث استغنى عن تكرير (إمّا) بذكر (إلا) المركبة من (إن) الشرطية و (لا) النافية.

انظر: المفضليات ٢٩٢، والأزهية ١٤٠، وأمالي ابن الشجري ١٢٦/٣، ١٢٧، والمقرّب ٢٣٢/١، وشرح الكافية الشافية ١٢٢٨/٣، وابن الناظم ٥٣٦، ٥٣٧، ووصف المباني ١٨٦، والجنى الداني ٥٣٢، والمغني ٨٦، ٨٧، والأشموني ١١٠/٣، والذبيان ٢١١، ٢١٢.

وقد استغنى بالثانية عن الأولى، ومنه قوله^(١): [الطويل]

تَهَاضُ بِدَارٍ قَدْ تَقَادَمَ عَهْدُهَا وَإِمَامًا بِأَمْوَاتٍ أَلَمَّ خَيَالُهَا

وقد تجيء الثانية عارية عن الواو، كقوله:

إِذَا إِلَى جَنَّةٍ إِذَا إِلَى نَارٍ

يجوز تقديم المعطوف على المعطوف عليه، كقول الشاعر^(٢): [الوافر]

أَلَا يَا نَخْلَةً مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ غَايِكَ وَرَحْمَةَ اللَّهِ السَّلَامُ

وكذلك^(٣): [الطويل]

(١) قائله: هو ذو الرمة - وقيل: الفرزدق - من قصيدة يمدح فيها سليمان بن عبد الملك ويهجو الحجاج بن يوسف.

اللغة: "تهاض" من الهيص - من هاض يهيض هيضا - أي: نكس بعد أن تماثل للشفاء، ويروى "تلم"، وهو فعل مضارع مبني للمجهول، والضمير المستتر فيه يعود إلى النفس المذكورة في بيت سابق، ويكون معناه يصيبها اللمم وهو المرض، "تقادم" طال الزمن.

المعنى: وصف الشاعر أن نفسه كلما قاربت البرء وطمع هو في أن تندمل جروحها ويبرأ سقامها تعرضت للانتكاس ورجعت إلى الأسقام بأشد مما كانت عليه؛ وذلك بسبب رؤية الديار التي كانت مسرح هواه.

الشاهد فيه: "بدار" أصله: إما بدار قد تقادم عهدها، وإما بأموات؛ فحذفت "إما" الأولى اكتفاء بإما الثانية.

انظر: الأشموني ٢/٤٢٦، والسيوطي في همعه ٢/١٣٥.

(٢) البيت للأحوص.

والتخلة هنا: كناية عن المرأة. و(ذات عرق): موضع بالحجاز.

والشاهد فيه: (عليك ورحمة الله السلام) حيث قدّم المعطوف وهو (رحمة الله) على المعطوف عليه وهو (السلام) للضرورة الشعرية.

انظر: مجالس ثعلب ١/١٩٨، والأصول ١/٣٢٦، ٣٤٤، ٢/٢٢٦، والجمل ١٤٨، والخصائص ٢/٣٨٦، وأمالي ابن السجري ١/٢٧٦، واللسان (شيع) ١/١٩١، والمقاصد النحوية ١/٥٢٧، والتصريح ١/٣٤٤، والخزانة ٢/١٩٢، وحواشي ديوان الأحوص ٢٣٩.

(٣) هو ليزيد بن الحكم.

(مرعوي): منكف، يقال: ارعوى عن القبيح، أي: كف.

جَمَعَتْ وَفُحْشًا غِيْبَةً وَنَمِيْمَةً ثلاث خصال لُشِتَ عَنْهَا بِمُرْعَوِي

ويجوز الفصل بين المعطوف وحرف العطف بظرف أو جار ومجرور، كقوله^(١):

[المنسرح]

والمعنى: جمعت القبح من أطرافه: الفحش، والغيبة، والتميمة؛ وهي خصال الشر، ولست بمُنْتَهٍ عنها.

والشاهد فيه: (وفحشًا) حيث ذهب ابن جنّي إلى أنّ الواو في (وفحشًا) هي واو المعية، وأنّ الشّاعر قدّم المفعول معه على المعمول لمصاحبة المصاحب؛ وذهب الجمهور إلى أنّ الواو هذه هي واو العطف، وأنّ (فُحْشًا) معطوف على (نميمة)؛ لكنّ الشّاعر اضطرّ إلى تقديم المعطوف على المعطوف عليه، والتقدير: جمعت غيبةً ونميمةً وفُحْشًا.

انظر: الخصائص ٣٨٣/٢، وأمالي ابن الشّجري ٢٧١/١، ٢٧٥، وشرح عمدة الحافظ ٦٣٧/٢، وشرح الكافية الشّافية ٦٩٦/٢، وابن النّاطم ٢٨٠، والمقاصد النّحويّة ٨٦/٣، ٢٦٢، والتّصريح ٣٤٤/١، ١٣٧/٢، والهمع ٢٤٠/٣، والأشْمُونِيّ ١٣٧/٢، والخزانة ١٣٠/٣.

(١) من قصيدة الأعشى ميمون بن قيس في مدح سلامة ذا فائش، والرواية في الديوان ص ١٧٠ "كشبه أردية الخمس".

الشاهد فيه: فَضْلُهُ بَيْنَ حَرْفِ الْعَطْفِ وَالْمَعْطُوفِ بِالظَّرْفِ ضَرُورَةً، فَصَلَّ بِقَوْلِهِ: (يَوْمًا) بَيْنَ الْوَاوِ وَ(أَدِيمَهَا).

لغة البيت: (العَضْبُ): من بُرُودِ الْيَمَنِ مُوَشَّاةٌ، يُعْضَبُ غَزْلُهَا ثُمَّ يُدْرَجُ، ثُمَّ يُضْبَعُ، ثُمَّ يُحَاكُ. وَلَيْسَ مِنْ بُرُودِ الرَّقْمِ وَلَا يَجْمَعُ، إِنَّمَا يُقَالُ: بُرِدَ عَضْبٌ، وَبُرُودٌ عَضْبٌ.

وَالْعَضْبُ أَيْضًا: الطَّيُّ وَالشَّدُّ. وَالْعَضْبُ: جُفُوفُ الرِّيقِ بِالْفَمِّ، قَالَ: [الطويل]

يُصَلِّي عَلَيَّ مَنْ مَاتَ مِنَّا عَرِيفُنَا وَيَقْرَأُ حَتَّى يَعْصِبَ الرِّيقُ بِالْفَمِّ

وَقَالَ آخَرُ: [الرجز]

يَعْصِبُ فَاهُ الرِّيقُ أَيُّ عَضْبٍ

عَضْبُ الْجُبَابِ بِشَفَاهِ الْوَطْبِ

وَالْعَضْبُ أَيْضًا: جَمْعُ عَضْبَةٍ، وَهُوَ كُلُّ شَجَرَةٍ تَلْتَوِي عَلَى الشَّجَرِ، وَلَهَا وَرَقٌ صَعِيفٌ، قَالَ: [الرجز]

إِنَّ سُلَيْمِي عَلَّقَتْ فُؤَادِي تَنْشَبُ الْعَضْبُ فُزُوعِ الْوَادِي

و(أَدِيمُ الْأَرْضِ وَأَدَمْتُهَا): وَجْهَهَا.

و(التَّغْلُ): الفَسَادُ، وَأَصْلُهُ فِي الْجِلْدِ، يُقَالُ: نَغَلْتُ الْجِلْدَ فِي الدِّبَاغِ تَغْلًا، نَغْلًا، فَهُوَ نَغْلٌ.

وَمَعْنَى النَّبْتِ: مَفْهُومٌ

يُقُولُ: يَوْمًا تَرَى الْأَرْضَ بِالنُّورِ وَالتَّبَاتِ كَأَرْدِيَةِ الْعُضْبِ، وَيَوْمًا تَرَاهَا مُخْتَلِفَةً سُودَاءَ مُعْبَرَةً كَالْجِلْدِ التَّغْلِ.

الإعراب: قَدْ تَقَدَّمَ مَوْضِعُ الشَّاهِدِ مِنَ النَّبْتِ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١]. فِي قِرَاءَةِ مَنْ جَعَلَ (يَعْقُوبَ) فِي مَوْضِعِ جَرٍّ، وَعَلَيْهِ تَلْقَاهُ الْقَوْمُ، مِنْ أَنَّهُ مَجْرُورٌ الْمَوْضِعِ، وَالآيَةُ أَضْعَبُ مَا أَحَدًا مِنَ النَّبْتِ، مِنْ قَبْلِ أَنْ حَرَفَ الْعَطْفِ فِي الْآيَةِ نَابَ عَنِ الْجَارِ الَّذِي هُوَ الْبَاءُ فِي قَوْلِهِ: (بِإِسْحَاقَ).

وَأَفْوَى أَحْوَالِ حَرْفِ الْعَطْفِ، أَنْ يَكُونَ فِي قُوَّةِ الْعَامِلِ قَبْلَهُ، وَأَنْ يَلِي مِنَ الْعَمَلِ مَا كَانَ الْأَوَّلَ يَلِيهِ. وَالْجَارُ لَا يَجُوزُ فَضْلُهُ مِنْ مَجْرُورِهِ.

وَهُوَ فِي الْآيَةِ قَدْ فَضَلَ بَيْنَ الْوَاوِ وَيَعْقُوبَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ﴾.

وَقُلْنَا: إِنَّ الْفَضْلَ بَيْنَ الْجَارِ وَالْمَجْرُورِ لَا يَجُوزُ، وَهُوَ أَقْبَحُ مِنْهُ بَيْنَ الْمُضَافِ وَالْمُضَافِ إِلَيْهِ، وَقَالَ الشَّاعِرُ: [الطويل]

فَلَوْ كُنْتَ فِي خَلْقَاءِ أَوْ رَأْسِ شَاهِقٍ وَلَيْسَ إِلَيْ مِنْهَا التُّزُولُ سَبِيلُ

فَفَضَلَ بَيْنَ الْجَارِ وَالْمَجْرُورِ بِالظَّرْفِ الَّذِي هُوَ: (مِنْهَا)، وَلَيْسَ كَذَلِكَ حَرْفُ الْعَطْفِ فِي قَوْلِهِ: (وَيَوْمًا أَدِيمَهَا نَغْلًا)؛ لِأَنَّهُ عَطْفٌ عَلَى النَّاصِبِ الَّذِي هُوَ (تَرَى)، فَكَانَ الْوَاوُ أَيْضًا نَاصِبَةً، وَالْفَضْلُ بَيْنَ النَّاصِبِ وَمَنْصُوبِهِ، لَيْسَ كَالْفَضْلِ بَيْنَ الْجَارِ وَمَجْرُورِهِ، وَإِذَا جَاءَ بَيْنَ الْجَارِ وَمَجْرُورِهِ كَانَ بَيْنَ النَّاصِبِ وَمَنْصُوبِهِ أَسهَلُ.

وَيَحْتَمِلُ فِي الْآيَةِ، أَنْ يَكُونَ (يَعْقُوبَ) فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ بِفِعْلِ مُضْمَرٍ، دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ﴾، وَالْمَعْنَى: آتَيْنَاهَا يَعْقُوبَ، فَإِذَا كَانَ هَذَا، لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَضْلٌ.

وَقَدْ جَاءَ فِي الشِّعْرِ الْفَضْلُ بَيْنَ الْمَعْطُوفِ وَالْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ لَبِيدٍ:

فَضَلْنَا فِي مُرَادٍ صَلَقَةً وَضَدَاءٍ أَلْحَقَهُ تُهُمٌ بِالثَّلَلِ

فَفَضَلَ ب (صَلَقَةً) بَيْنَ (مُرَادٍ) وَ(ضَدَاءٍ)، وَفَضَلَ ب (ضَدَاءٍ) بَيْنَ (صَلَقَةً) وَصَفَتِهَا، وَقَالَ الْآخَرُ:

وَلَقَدْ نَهَيْتُكَ أَنْ تُكَلِّفَ نَائِبًا مِنْ دُونِهِ فَوْتُتْ إِلَيْكَ وَمَطْلَبُ

فَفَضَلَ ب (إِلَيْكَ) بَيْنَ (فَوْتُتْ) وَمَطْلَبِ.

يَوْمًا تَرَاهَا كَثِيبُهُ أُرْدِيَةَ الـ عَضْبِ وَيَوْمًا أُدِيمَهَا نَغْلًا

وجعله أبو على شاذًا، وهو في القرآن كثير، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨] ففصل بـ "إذا" وما أضيفت إليه بين "الواو" و ﴿أَنْ تَحْكُمُوا﴾ وهو معطوف على ﴿أَنْ تُؤَدُّوا﴾ وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة: ٢٠١]، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ [يس: ٩]، ففصل بـ (مِنْ خَلْفِهِمْ) بين "الواو" و ﴿سَدًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ ففصل بـ (مِنَ الْأَرْضِ) بين "الواو" و ﴿مِثْلَهُنَّ﴾، وهو كثير.

قَالَ أَبُو الْفَتْحِ عُثْمَانُ بْنُ جَنِّيٍّ: وَإِذَا جَارَ الْفَضْلُ بَيْنَ الْمُفْرَدَيْنِ، كَانَ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ أَجْوَدٌ، لَاسْتِقْلَالِ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بِنَفْسِهَا، وَحَاجَةِ الْمُفْرَدِ إِلَىٰ غَيْرِهِ.

وَقَبِلَ الْبَيْتُ: [المنسرح]

الْأَرْضُ حَمَالَةٌ لِمَا حَمَلَ اللَّهُ فَمَا إِنْ يُرَدُّ مَا حَمَلَا

وَالهَاءُ فِي (تَرَاهَا) رَاجِعَةٌ إِلَى الْأَرْضِ، فَأَعْلَمُهُ.

انظر: تاج العروس ٢٥/١٦، ولسان العرب ٨/١٢.